كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، في حفل عشاء دعم في جامعة القدّيس يوسف، في نادي "أنترأليه" InterAllié في باريس، يوم السبت الواقع فيه 27 تشرين الثاني (نوفمبر) 2021، في تمام الساعة الثامنة مساءً – نادي "أنترأليه" InterAllié.

"شكرًا" : إنّها الكلمة التي منها أودّ أن أستهلّ هذا النداء !

شكرًا لهذا التجمّع الموقَّر الذي اجتمع هذا المساء لدعم جامعة القدّيس يوسف في بيروت ومستشفاها الجامعيّ، مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" ! كان لا بدّ من الإعلان عن هذا العشاء، وهو ليس حفلًا، بل عشاءً داعمًا، وقد لبّى الكثير منكم النداء بشكلٍ إيجابي كدليل على التضامن !
شكرًا لسعادة السفير رامي عدوان، سفير لبنان في باريس الذي شرّفنا بتصدّر طاولتنا هذا المساء، ورحّب بنا في منزله أكثر من مرّة ورافق كلّ خطوة في جولتنا !
شكرًا لفريق لجنة رابطة الطلاب القدامى في جامعة القدّيس يوسف في فرنسا، ولرئيستها السيّدة آمال صيّاح الذين تجنّدوا قلبًا وروحًا من أجل تحضير عشاء هذا المساء بعناية !
من خلال كلّ واحد منكم، أودّ أن أُعرب عن امتناني لجميع أصدقائنا في فرنسا، رئيسة مؤسّسة مستشفيات باريس السيّدة بريجيت ماكرون Brigitte Macron، ورؤساء مناطق "إيل دو فرانس" Ile de France و"أوفيرن رون ألب" Auvergne Rhône Alpes، ومؤسّسة الرهبنة اليسوعيّة، وأعمال البعثات الكاثوليكيّة الفرنسيّة العاملة في آسيا وأفريقيا OMCFAA ، والمنظّمة الفرنسيّة للمدراء التي يديرها إيف شويفاتي، وأعضاء المجلس الاستراتيجيّ لجامعة القدّيس يوسف، والحشد الكبير من المجهولين الذين ساعدوا بسخاء، الأمر الذي سمح لنا بتلبية احتياجاتنا الأساسيّة. الشكر الجزيل أتوجّه به إلى ضيفنا المحاضِر السيّد أرنو بوي دو فونتين Arnaud Puy de Fontaine والسيّد فرانك دوبوسك Franck Dubosc، ناهيك عن قرينته العزيزة السيّدة دانيال Danièle، خرّيجة المعهد العالي للهندسة ESIB في جامعة القدّيس يوسف. شكرًا لاتّحاد جمعيّات الخرّيجين في جامعة القدّيس يوسف بشخص رئيسه الدكتور كريستيان مكاري، ولمؤسّسة جامعة القدّيس يوسف Fondation de l'USJ، ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" HDF بشخص مديرته الدؤوبة سينتيا غبريل أندريا Cynthia Ghobril Andrea.
أصدقاءنا الأعزّاء،
هناك لحظات سعادة يمكن أن تكون مستمرّة، وهذا جيّد. ولكن، عندما تستمرّ الأزمة فهذه كارثة حقيقيّة تُصيب الإنسان والبلد وهذا ما يحدث معنا في بيروت. على الرغم من هذه المصيبة وفي قلب هذه المصيبة، نظلّ واقفين. على الرغم من كلّ شيء، نلاحظ أنّ هناك المزيد من المسجَّلين في السنة الأولى في الإجازة والماستر، فقد تجاوزنا 4150 طالب جديد في السنة الأولى وأكثر من العام الماضي ب 600 طالب. نحن نستمرّ سنويًّا في إرسال ما بين 8 و 15 طالبًا في الرياضيّات إلى معهد "البوليتكنيك" سنويًّا. منذ الأوّل من شهر أيلول (سبتمبر)، إستأنفنا العام الأكاديميّ في ظلّ ظروف صعبة للغاية نظرًا لنقص الوقود الذي يبتلع سعره الحدّ الأدنى للأجور في أسبوع. تسبّب الإنفجار الإجراميّ في مرفأ بيروت في مقتل 216 شخصًا وإصابة 6000 شخص وتدمير ثلثَي مدينة، بما في ذلك جميع أحرام جامعة القدّيس يوسف ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" الذي كلّف ترميمه أكثر من مليونَي يورو ؛ كان للأزمات السياسيّة والماليّة والأخلاقيّة، وفترات الحجر لاحتواء الوباء تداعيات

إجتماعيّة رهيبة على مؤسّساتنا وعلى عائلاتنا. حتّى اليوم، فقدت الليرة اللبنانيّة 85% على الأقلّ من قيمتها مقابل العملات الأميركيّة والأوروبيّة.

مداخيلنا، سواء في الجامعة أو في المستشفى، ذابت مثل الشمع، من 110 مليون يورو في الجامعة في السنة الأكاديميّة 20/2019، وصلنا اليوم إلى حوالى 30 مليون، ومصاريف التشغيل هي دائمًا نفسها إن لم تكن أكثر تكلفة، في تكنولوجيا المعلومات، والمكتبات، والوقود (لم يعد بإمكان موظّفينا ومعلّمينا القدوم إلى الجامعة كلّ يوم بسبب سعر البنزين الباهظ)، والصيانة، والمعدّات والموادّ لما يقارب خمسين مختبر، والمشاركة في برامج فرنسيّة ودوليّة. يجب علينا بأي ثمن استبدال 2443 جهاز كمبيوتر وأجهزة محمولة على مدار 5 سنوات (بما في ذلك 850 تكاد تنازع) وتشغيل التحوّل الرقميّ على المستوى نفسه وبعض مشاريع البحث التطبيقيّة مثل الخدمات مع البلديّات اللبنانيّة.

نحن نواصل مهمّتنا في ظلّ ظروف صعبة، لكنّنا نستمرّ من أجل مصلحة طلابنا اليوم وفي المستقبل. تمّ احتساب الدولار الأميركيّ للرسوم الدراسيّة بقيمة 2700 ل.ل. من أجل الإبقاء على عدد طلاب الجامعة وبالتالي مواصلة مهمّتنا ؛ على الرغم من هذه السياسة، ومع وجود عائلات استنزفتها الأزمة، فإنّ 47 في المئة من الطلاب هم من حاملي المِنَح الدراسيّة، وميزانيّة المنحة 5.5 مليون يورو في السنة الأكاديميّة 22/2021 وليس لدينا الّا القليل لتغطيتها ؛ يواصل أكثر من مائة طالب دراستهم مجّانًا، خاصّةً أولئك واللواتي نرحّب بهم من المدارس الحكوميّة الرسميّة ؛ نظرًا لأنّ رواتب الإداريّين والمعلّمين بالليرة اللبنانيّة لم تتغيّر إلّا بشكلٍ طفيف، فإنّ الانزعاج كبير جدًّا بينهم لأنّ دخلهم يتدهور وينخفض إلى ما يقرب من 85 في المائة مع التضخّم الذي ارتفع إلى 714 في نهاية تشرين الأوّل (أكتوبر) ؛ أصولنا الماليّة بالعملات الأجنبيّة موجودة في المصارف اللبنانيّة ولا يمكننا استخدامها ومصيرها قاتم ؛ يخطّط الكثيرون للفرار من البلاد، مثل 12 في المئة من الموظّفين الإداريّين في جامعتنا الذين غادروا بالفعل، ومثل 10 في المائة من المعلّمين المتفرّغين في جامعتنا يميلون إلى الهجرة، و35% من غير المتفرّغين قد هاجروا. وبالفعل، 100 من أكثر الممرّضات المؤهّلات، ناهيك عن أطبّاء مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" HDF، حتّى طلاب الطبّ قد فرّوا نحو بلجيكا وفرنسا، وكذلك أساتذة مؤهّلون جيّدًا في الذكاء الاصطناعيّ أو الروبوتات، أو في الرياضيّات، توجّهوا إلى الكويت، وكندا والولايات المتّحدة الأميركيّة. بغضّ النظر عن مدى شدّنا للأحزمة واتّباعنا لسياسة التقشّف، فالواقع هو أنّ الهواء في بيروت أصبح أكثر فأكثر غير قابل للتنفّس مع استمرار الفساد والتلاعب الطائفيّ من قِبَل السياسيّين. في كلّ مرّة يتمّ الاحتفال بالاستقلال في 22 تشرين الثاني (نوفمبر)، نتذكّر أنّ سيادة بلدنا تتعرّض للانتهاك، لأنّ حزبًا مسلّحًا بايعها لبلد بعيد عن قيم لبنان. في هذا السياق، يفكّر العديد من شبابنا في المغادرة فقط، وفي الواقع، غادر ما لا يقلّ عن 7000 شابّ من شهادة البكالوريا هذا العام إلى فرنسا.

لكنّنا ما زلنا هنا في خدمة لبنان وبيروت الجريحة التي تبقى الأجمل، السيّدة الحاضرة في كلّ مكان، برغبتها في الحريّة والتفوّق والحبّ كما تقول الأغنية، بيروت ستّ الدنيا ما بتموت.

نعم، أصدقائي الأعزّاء، جامعة القدّيس يوسف ومستشفى "أوتيل ديو دو فرانس"، وهما المؤسّستان اللتان تمثّلان بامتياز تقليد التعليم والطبّ الناطقين بالفرنسيّة ما زالتا موجودتَين، **ونحن هنا واقفون رافضين أي حلّ وسط، داعين إلى إصلاح حقيقيّ للمؤسّسات وبناء المواطنة اللبنانيّة.**

رسالتي الأولى اليوم هي أنّ مساعدتكم ضروريّة لتستمرّ فكرة لبنان هذه في التطوّر وتثبيت نفسها خلال الذكرى المئويّة الثانية، ليبقى الولاء للبنان وطننا ولمصادرنا ولاءً حيًّا. لذلك، نريد أن يبقى الشباب وإلا لبنان الذي نريده سيسقط وسيكون السقوط قاسيًا.

رسالتي الثانية هي أنّه من خلال اعتمادنا عليكم، فإنّكم تدعمون الانضمام إلى الفرنكوفونيّة كطريق ثقافيّة وأكاديميّة ضروريّة للبناننا ولفرنسا في المنطقة.
رسالتي الثالثة هي أنّنا إذا كنّا نبحث عن أموال، فهي لتقوية الروابط الاجتماعيّة والتضامن بيننا، وهو أمر ضروريّ.
رسالتي الرابعة هي أنّكم، بمِنَحِكم الدراسيّة، لا تقومون بعمل إجتماعيّ ؛ أنتم تستثمرون في التعليم من أجل تعزيز الإنسان في تنمية مهارات الناس، وأنتم تستثمرون في الشباب، وهم أساس الوجود والدعوة الفرنكوفونيّة في لبنان، وأنتم تدركون فعل الخلاص لما هو أثمن ما في لبنان، ألا وهو التعليم رأسمالنا الرئيسيّ.
رسالتي الأخيرة أنّ مساعدتكم عمل مقاومة حتّى لا يختنق صوت المواطنة في الجامعة وذلك بتحديد الوسائل المتاحة لها لمواصلة رسالتها وعملها في تنشئة أجيال الغد.
نحن نعيش اليوم في سياق الصراع من أجل البقاء في بيروت، وأنا أتوجّه إليكم لمساعدة مؤسّساتنا الأساسيّة في لبنان التي نريدها وتريدونها، ولإنقاذ مشروع إنسانيّ بألوان الغرب والشرق.
أخيرًا، أودّ أن آخذ بعض المقتطفات من صلاة أمين معلوف المكتوبة في اليوم التالي للانفجار الذي وقع في بيروت، مع العلم أنّ السماء تساعد من خلال الصدقة التي يعبّر عنها القريب :

من هذه المدينة التي دُمِّرَت مرّات عديدة،
وأُعيد بناؤها، ثمّ دُمِّرَت مرّة أخرى،
من هذا الشاطئ حيث، حسب الأساطير،
رجلٌ حرّ عرف منذ زمن بعيد كيف يقتل التنين،
دعاء نحو السماء.
حتّى يتسنّى للبنان،
هذه المرّة أيضًا، أن يقف على قدميه،
فيرفع أسواره ويُداوي جراحه.
أتمنّى أن يعرف كيف يتغلّب على محنته،
وآلامه وإحباطه.
ليعرف كيف ينتصر
على ضراوة العالم،
وعلى شياطينه.
من ملاذنا الذي يبلغ عمره ألف عام وأصبح فجأةً
نصبًا لجنون الرجال
وهيكل غضبهم،
دعاء نحو السماء.